نفحة الريحانة

ورشحة طلاء الحانة

لمحمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي
١٠٦١ - ١١١١ هـ

تحقيق
عبد الفتاح محمد الحلو

الجزء الأول

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

١

استطاعت الخلافة العثمانية فى تركيا أن تحكم قبضتها على البلاد العربية خلال النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى ، وأن تخضع لهيبتها الفئات التى كانت تسيطر على مقاليد الأمور فيها .

وكان النصف الأول من القرن الحادى عشر الهجرى يحمل بين طياته صبغ الحياة فى هذه الرقعة المترامية من البلدان الإسلامية بصبغة الحكم التركى ، وأصبحت الخلافة العثمانية امبراطورية مرهوبة الجانب ، عزيزة الكلمة ، يمتد سلطانها من المحيط الهندى ، إلى البحر المتوسط ، ثم إلى شواطئ الأطلسى ، أو بحر الظلمات كما كان يعرف .

ولقد أدركت الدول الأوربية خطر هذه الإمبراطورية ، وبدأ الصراع معها فى النصف الثانى من القرن الحادى عشر ، وأوائل القرن الثانى عشر ، ذلك الصراع الذى بدأه البنادقة بغاراتهم على الشواطئ التركية عن طريق البحر ، والذى تمثل فى حرب النمسا ، ثم ما كان من اتفاق البنادقة وبولونيا والبابا ورهبنة مالطة والروسيا والقوزاق وتسكانه مع النمسا ، وتكوينهم عصبة واحدة تعرف باسم (Sainte-Alliance) أى الاتحاد المقدس ، لمحاربة الدولة العثمانية ، ولم يوضع حد لهذا الصراع إلا بمعاهدة قارلوفچه (Carlowitz) سنة ١١١٠ هـ (١) .

---

(١) حقائق الأخبار عن دول البحار ١ / ٦١١ .

هذا الصراع بين الدولة العثمانية ، والدول الأوربية ، صرفها – إلى حدما – عن الاهتمام بما تحت يدها من ولايات عربية ، وجعلها تفكر بين حين وآخر في إصلاح أداة الحكم في تركيا نفسها ، فإن الحروب المستمرة أنهكت مالية الدولة ، وجعلت للعسكريين اليد العليا في تصريف الأمور .

ولقد تولى الخلافة في هذه الفترة أربعة من السلاطين ، هم [1] :

السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان	(١٠٥٨ – ١٠٩٩)
السلطان سليمان خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان	(١٠٩٩ – ١١٠٢)
السلطان أحمد خان الثاني ابن السلطان إبراهيم خان	(١١٠٢ – ١١٠٦)
السلطان مصطفى خان الثاني ابن السلطان محمد الرابع	(١١٠٦ – ١١١٥)

وفي عهد هؤلاء السلاطين استطاعت الدول العربية أن تجد شيئا من هدوء الحال [2] ، الذي مكن العلماء والأدباء من الرحلة بين أقطارها ، والتلقي عن شيوخها ، والدرس والإفادة ، مما أتاح للعلم والأدب ، ازدهارا عظيما ، ونهضة شاملة .

٢

وفي هذه الفترة عاش محمد أمين بن فضل الله بن محب الله بن محمد محب الدين بن أبي بكر تقي الدين بن داود بن عبد الرحمن بن عبد الخالق المحبي ، الحموي الأصل ، الدمشقي المولد والدار ، الحنفي [3] .

---

(١) انظر حقائق الأخبار ١/٥٨٦ – ٦١٣ .

(٢) انظر مقدمة المحبي لنفحة الريحانة ، صفحة ٧ من هذا الجزء .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وانظر في نسبه خلاصة الأثر ٣/٢٧٧، ٣٠٨، ٤٢٢ .

وتجد ترجمة المحبي في سلك الدرر ٤ / ٨٦ – ٩١ ، وعقد له السؤالاتي في آخر ذيل النفحة ترجمة اهتم فيها بجمع ما قيل فيه من المراثي ، وتحدث المحبي عن نفسه في آخر النفحة ، لوحات ٣٤٥ أ – ٣٥٠ ب من النسخة أ ، اقتداء بلسان الدين بن الخطيب ، وأورد طرفاً من فصوله القصار ، وبعض رسائله ، وطرفاً من شعره ، يتضمن مقصورته النبوية ، وأرجوزته في الأمثال ، ومقطعاته ، وأبياته المفردة .

ولد بدمشق ، سنة إحدى وستين وألف [1] ، ونشأ بها فى كنف والده .

ثم سلك طريق المعرفة ، وتلقى العلم على شيوخ أجلاء ، نعرف منهم :

١ - إبراهيم بن عبد الرحمن بن على الخيارى ، المدنى ، المتوفى سنة ثلاث وثمانين وألف [2] ، حين ورد الشام .

يقول المحبى [3] : « دخل - أى الخيارى - دمشق ، مع الركب الشامى ، فى ثمان وعشرى صفر ، سنة ثمانين وألف ، فعظم بها قدره ، وانتشر ذكره ، وأقبل عليه أهلها ، وبذلوا فى إكرامه الجهد . . . وأقام بدمشق ثمانية عشر يوما » .

ثم يقول بعد أن ذكر رحلته إلى الروم : « ثم قدم دمشق ، واعتنى به أهلها كاعتنائهم به فى قَدْمته الأولى ، وأخذ عنه من أهلها خلق كثير ، واجتمعت أنا به مرارا ، وأسمعته من أوائل الجامع الصحيح للبخارى ، وسمعت منه ، وأجازنى بجميع مروياته ، وكتب لى إجازة بخطه ، فى اليوم الثانى من رجب ، سنة إحدى وثمانين وألف » .

٢ - إبراهيم بن منصور الفتال ، المتوفى سنة ثمان وتسعين وألف [4] .

يقول المحبى [5] : « وانتفع به من الفضلاء مالا يحصى ، وجميع من نعرفه الآن بدمشق ، المتعينين بالفضل ، المشار إليهم من الجلة ، تلاميذه ... وأنا ممن تشرفت بالتلمذة له ، وقد لزمته من سنة ثلاث وسبعين وألف ، إلى أن انتقل إلى رحمة الله ورضوانه ،

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٦ ، ولكن السؤالاتى يذكر فى الترجمة التى صنعها لأستاذه ، والتى ضمها إلى ذيل نفحة الريحانة ، أنه ولد سنة أربع وستين وألف .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبى فى : خلاصة الأثر ١/٢٥ - ٢٨ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٣١٦ ، فى قسم الحجاز .

(٣) خلاصة الأثر ١/٢٥ - ٢٧ ، وانظر ترجمة المحبى له فى النفحة .

(٤) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبى فى : خلاصة الأثر ١/٥١ - ٥٣ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٦ ، صفحة ٥٦٦ من هذا الجزء .

(٥) خلاصة الأثر ١/٥٢ ، وذكر المحبى قريباً من هذا القول ، فى نفحة الريحانة ١/٥٦٧ .

فقرأت عليه مواطن من التفسير ، وأخذت عنه الحديث ، والفقه ، والنحو ، والمعانى ، والبيان ، والمنطق ، والأصلين ، وشيئا من التصوف والأدب » .

والمحبي عند الفتال منزلة خاصة ، فقد أخذ بيده فى طريق الشهرة والمجد ، ونوه به ، وأشاع أدبه .

يقول المحبي بعد أن مدحه [1] : « على أن ذلك دون استحقاقه ، بالنسبة لما منحنى من كرم أخلاقه ؛ فإنه الذى روّج بضاعتى المُزْجاة ، وشملنى بالحلم والأناه ، ونوّه بى وأشاع أدبى ، وكان لى مكان أبى » .

٣ ـ أبو محمد شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن على النخلى ، المكى ، الشافعى ، الصوفى ، النقشبندى ، المحدِّث ، الفقيه ، المتوفى سنة ثلاثين ومائة وألف [2] .

أخذ عنه بالحرمين [3] .

٤ ـ أحمد بن محمد بن عبد الوهاب ، الحلبى ، المهمندارى ، المفتى الحنفى بحلب ، المتوفى سنة خمس ومائة وألف [4] .

يقول المحبي [5] : « وهو أحد من حضرت عنده ، واقتدحت فى الاستفادة زنده » .

٥ ـ حسن العجيمى المكى .

أخذ عنه بالحرمين [6] .

٦ ـ حسين بن محمود بن محمد العدوى ، الزوكارى ، الصالحى ، القاضى ، الشافعى ، المتوفى سنة سبع وتسعين وألف [7] .

---

(١) خلاصة الأثر ١/٥١ ، وقد قال المحبي قريباً من هذا ، فى نفحة الريحانة ، صفحة ٥٦٧ من هذا الجزء

(٢) سلك الدرر ١/١٧١

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦ .

(٤) ترجمة المحبى ، فى نفحة الريحانة ١/٥٦٠ ـ ٥٦٥ ، والمرادى فى سلك الدرر ١/١٨٦ ـ ١٩١

(٥) نفحة الريحانة ١/٥٦١

(٦) سلك الدرر ٤/٨٦ .

(٧) ترجمة المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/١١٦ ـ ١١٨ ، ونفحة الريحانة ١/ ٥٨١

يقول المحبي [1] : « وكنت فى أيام الصبا تلقيت عنه بعض معلومات ؛ لاتصال شديد كان بينه وبين والدى ، رحمهما الله تعالى ، واستجزته ، فأجازنى بمروياته » .

٧ – رمضان بن موسى بن محمد بن أحمد العطيفى ، الدمشقى ، الحنفى ، المتوفى سنة خمس وتسعين وألف [2] .

يقول المحبي [3] : « وكنت وصبائى عاطر النفحة ، لدن الغصن ناضر الصفحة ؛ حضرت دروسه فى العربية ، وأخذت عنه أشياء من الفنون الأدبية » .

٨ – زين العابدين بن أحمد بن زين العابدين البكرى ، الصديقى ، المصرى ، المتوفى سنة سبع ومائة وألف [4] .

٩ – عبد الباقى ، المعروف بعارف [5] .

١٠ – أبو الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى ، الصالحى ، الدمشقى ، الحنبلى ، المعروف بابن العماد ، المتوفى سنة تسع وثمانين وألف [6] .

يقول المحبي [7] : « وكنت فى عنفوان عمرى تلمذت له ، وأخذت عنه ، وكنت أرى لقيته فائدة أكتسبها ، وجملة فخر لا أتعداها ، فلزمته حتى قرأت عليه الصرف والحساب .

---

(١) خلاصة الأثر ٢/١١٨ ، وذكر قريباً منه فى نفحة الريحانة ١/٥٨١ .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/١٦٨ ، ونفحة الريحانة ، ترجمة رقم ٥٧ ، صفحة ٥٧١ من هذا الجزء .

(٣) نفحة الريحانة ١/٥٧١

(٤) نفحة الريحانة ١/١٥ ، ٥١٦ ، وقد ترجمه المحبي ، فى النفحة ، فى القسم الخاص بمصر ، برقم ٣٢٥ ، وانظر سلك الدرر ١/١٥١ .

(٥) نفحة الريحانة ١/١٦ ، وقد ترجمه المحبي ، فى النفحة ، فى قسم الروم ، برقم ١٤١

(٦) سلك الدرر ٤/٨٦ ، وقد ترجمه المحبي فى : خلاصة الأثر ٢/٣٤٠ .

(٧) خلاصة الأثر ٢/٣٤١ .

وكان يتحفني بفوائد جليلة ، ويلقيها عليّ .

وحباني الدهر مدة بمجالسته ، فلم يزل يتردد إليّ تردُّد الآسي إلى المريض ، حتى قدر الله تعالى لي الرحلة عن وطني إلى ديار الروم ، وطالت مدة غيبتي ، وأنا أشوق إليه من كل شيق ، حتى ورد عليّ خبر موته وأنا بها » .

١١ ــ عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي الحنفي ، الدمشقي ، النقشبندي ، القادري ، المتوفى سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف [١] .

١٢ ــ عبد القادر بن بهاء الدين بن نبهان ، العمري ، الدمشقي ، الشافعي ، المعروف بابن عبد الهادي ، المتوفى سنة مائة وألف [٢] .

يقول المحبي [٣] : « وتصدر للإقراء ، فاشتغل عليه جمع كثير : منهم : ابن عمه عبد الجليل ، ورفيقي في الطلب محمد بن محمد القاضي المالكي بالمحكمة الكبرى ، والفقير ، قرأت أنا وإياه عليه طرفا من شرح العضد على مختصر المنتهى لابن الحاجب في الأصول ، وشرح الرسالة الوضعية للعصام ، وكنا نطالع شرحه الذي وضعه على المختصر المذكور ، وحقق فيه التحقيق الذي ما وراءه غاية » .

١٣ ــ عثمان بن محمود بن حسن الكفرسوسي ، الشافعي ، الشهير بالقطان ، المتوفى سنة خمس عشرة ومائة وألف [٤] .

يقول المحبي [٥] : « وقد اتحدت به منذ عرفت الاتحاد ، فما رأيته مال عن طريق المودة

(١) سلك الدرر ٤/٨٦
وقد ترجمه البوريني ، في تراجم الأعيان ٢ / ٣٧١ ، والمرادي في سلك الدرر ٣ / ٣٠ ، والمحبي في نفحة الريحانة ، برقم ٧٢ .

(٢) سلك الدرر ٤/٨٦ .
وقد ترجمه المحبي في : خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ونفحة الريحانة ، برقم ٥٩ ، صفحة ٥٨٦ من هذا الجزء

(٣) خلاصة الأثر ٢/٤٣٧ ، ٤٣٨ .

(٤) ترجمه المحبي في نفحة الريحانة ١/ ٥٩٤ ، والمرادي في سلك الدرر ٣/١٦٧ ــ ١٧٠ .

(٥) نفحة الريحانة ١/ ٥٩٤ .

ولا حاد ؛ وله علىّ مشيخة أنا من بحرها أغترف ، وبألطافها الدائمة أعترف ؛ وكثيرا ماأرد ورده ، وأقتطف ريحانه ووردَه » .

١٤ – علاء الدين محمد بن على بن محمد ، الحصنى الأصل ، الدمشقى ، المعروف بالحصكفى ، مفتى الحنفية فى دمشق ، المتوفى سنة ثمان وثمانين وألف [١] .

يقول المحبى [٢] : « واشتغل عليه خلق كثير جدا ، وأخذوا عنه ، وانتفعوا به ... وحضرته أنا ، بحمد الله تعالى ، وهو يقرى تنوير الأبصار فى داره ، وتفسير البيضاوى ، فى المدرسة التقوية ، والبخارى ، فى الجامع الأموى ، وانتفعت به » .

١٥ – السيد محمد بن عمر العباسى ، الخلوتى ، الدمشقى ، الصالحى ، الحنبلى ، المتوفى سنة ست وسبعين وألف [٣] .

أخذ عنه طريق الخلوتية [٤] .

وذكره المحبى ، فقال [٥] : « شيخنا فى الطريق ... وقد وفقنى الله تعالى الأخذ عنه ، والتبرك بدعواته ، وكان يتحفنى بإمداداته الباطنية » .

وجدَّد المحبىُّ العهدَ فى هذا الطريق على السيد محمد غازى الخلوتى ، المتوفى سنة إحدى وثمانين وألف بحلب .

فقد ذكر فى ترجمته [٦] ، أنه قدم دمشق مرتين ، وأخذ عنه الناس الطريق .

ثم قال : « وكنت أنا ، الفقير ، ممن جدّد عليه العهد » .

---

(١) سلك الدرر ٤/٨٦ .
وقد ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/٦٣ .
(٢) خلاصة الأثر ٤/٦٣ ، ٦٤
(٣) ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/١٠٣ .
(٤) سلك الدرر ٤/٨٦
(٥) خلاصة الأثر ٤/١٠٣ .
(٦) خلاصة الأثر ٤/٢١٣

١٦ ـ محمد بن لطف الله بن زكريا ، الشهير بشيخ محمد العربى ، المتوفى سنة اثنتين وتسعين وألف [١] .

١٧ ـ محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسى ، ابن طاهر ، السوسى ، الرودانى ، المغربى ، المالكى ، نزيل الحرمين ، المتوفى سنة أربع وتسعين وألف [٢] .

أجاز له [٣] .

وذكر المحبي أنه ورد دمشق ، وأقام بها ، ثم قال [٤] : « واجتمعت به ثَمَّة مرة ، صحبة فاضل العصر ، ودرة قلادة الفخر ، المولى أحمد بن لطفى المنجم المولوى . . . فرأيت مهابة العلم قد أخذت بأطرافه ، وحلاوة المنطق فى محاسن أوصافه » .

١٨ ـ محمود البصير الصالحى ، الدمشقى ، الشافعى ، المتوفى سنة أربع وثمانين وألف [٥] .

يقول المحبي [٦] : « وأخذت أنا عنه المنطق ، والهندسة ، والكلام ، وكان هو لما أخذ الهندسة ، احتال على ضبط أشكالها بتماثيل من شمع عسلى ، كان يمثلها له أستاذه الشيخ رجب المذكور [٧] ، فضبطها ضبطا قويا ، فلما قرأت الهندسة عليه ، كنت أعجب من تصويره الأشكال ، كما أخذها عن أستاذه » .

١٩ ـ نجم الدين محمد بن يحيى بن تقى الدين بن عبادة بن هبة الله الفرضى ، الحلبى الأصل ، الدمشقى المولد ، الشافعى ، المتوفى سنة تسعين وألف [٨] .

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٣١ ، ونفحة الريحانة ١/٨

(٢) خلاصة الأثر ٤/٢٠٤ .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦

(٤) خلاصة الأثر ٤/٢٠٥

(٥) سلك الدرر ٤/٨٦

وقد ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/٣٣٠ .

(٦) خلاصة الأثر ٤/٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٧) يعنى الشيخ رجب بن حسين .

وقد ترجمه المحبى ، فى خلاصة الأثر ٤/٢٦٥

(٨) سلك الدرر ٤/٨٦

يقول المحبي[1] : « كان أعظم شيخ أدركناه ، واستفدنا منه ، . . . ثم جلس مجلس التدريس ، فانتفع به الفضلاء ، طبقة بعد طبقة ، وأدركته أنا أولا ، وهو يدرس دروسا خاصة ، بجامع بنى أمية ، فقرأت عليه الآجرومية ، ثم مات له ولد نجيب ، كان نَبِلَ ، فانقطع عن الدرس مدة سنين . . . ثم جلس للتدريس العامّ ، فى محراب الحنابلة ، فأقرأ أولا الآجرومية ، ثم شرحها للشيخ خالد ، ثم شرح الأزهرية ، ثم شرع فى قراءة شرح القواعد للشيخ خالد ، وشرح تصريف العزى للتفتازانى ، ومن حين شروعه فيهما لزمته لزوما لا انفكاك معه ، إلا مجالس قليلة ، إلى أن أتمهما ، وأقرأ الشذور للقاضى زكريا ، وأتمه ، ثم حضرت عنده ابن المصنف إلى الاستثناء ، وسافرت إلى الروم » .

٢٠ ـ أبو زكريا يحيى بن محمد بن محمد بن عبد الله بن عيسى النايلى ، الشاوى ، الملياني ، الجزائرى ، المالكى ، المتوفى سنة ست وتسعين وألف[2] .

أجاز له[3] .

يقول المحبي ، بعد أن ذكر رحلاته[4] : « ثم رجع إلى الروم ، فأنزله مصطفى باشا مصاحب السلطان ، فى داره ، وكنت ، الفقير ، إذ ذاك بالروم ، فالتمست منه القراءة ، فأذن لى ، فشرعت أنا وجماعة من بلدتنا دمشق وغيرها . . . فى القراءة عليه ، فقرأنا تفسير سورة الفاتحة من البيضاوى ، مع حاشية العصام ، ومختصر المعانى ، مع حاشية الحفيد ، والخطائى ، والألفية ، وبعض شرح الدوانى على العقائد العضدية .

وأجازنا جميعا بإجازة نظمها لنا .

وكان ما كتبه لى هذا :

---

(١) خلاصة الأثر ٤/٢٦٥ ، ٢٦٦ .

(٢) ترجمه المحبي ، فى خلاصة الأثر ٤/٤٨٦ ــ ٤٨٨ ، ونفحة الريحانة برقم ٣٧٣ .

(٣) سلك الدرر ٤/٨٦

(٤) خلاصة الأثر ٤/٤٨٧

الحمد لله الحميد ، والصلاة والسلام على الطاهر المجيد ، وعلى آله أهل التمجيد .

أجزتُ الإمامَ الأَوْذَعِيَّ المعـــبّرَا أمِينـــاً أمينَ الدِّين روحا مصوّرَا »

ثم ساق المحبي بقية القصيدة .

وهكذا استطاع المحبي أن يلتقف العلم من أفواه كبار علماء عصره ، وأن يجلس إليهم على اختلاف منابعهم ، وتعـــدد مشاربهم ، فيصدر رَوِيَّ النفس ، كبير المحل فى العلم والأدب .

٣

وقد تلقى المحبي علومه الأولى فى دمشق ، ثم حُبِّب إليه الارتحال ، فكانت رحلته الأولى إلى ديار الروم ، مقر الخلافة ، حيث يفد العلماء من كل الأقطار .

ولست أدرى ، على وجه التحديد ، متى كان سفره إلى الروم ، على أن ذلك لم يكن قبل سنة إحدى وثمانين وألف ، فقد لقى شيخه إبراهيم الخيارى فى دمشق ، فى هذه السنة ، وأخذ عنه [١] .

كذلك فإن هذه الرحلة قد بدأت قبل سنة تسع وثمانين وألف ؛ لأن المحبي تلمذ لعبد الحى بن أحمد العكرى ، كما قال ، فى عنفوان عمره ، ثم سافر إلى الروم ، وورد عليه خبر موته وهو بها ، سنة تسع وثمانين وألف [٢] .

وكان دخول المحبي إلى القسطنطينية فى ملك السلطان محمد خان الرابع ابن السلطان إبراهيم خان [٣] ، وظل بها ملازما لشيخه محمد بن لطف الله بن زكريا ، المشهور بشيخ محمد العربي ، الذى استوفى من الصدارة تمام العزة ، وأوفى شرفه على كل الأعزة [٤] ،

---

(١) انظر ما تقدم فى صفحة ٥ .

(٢) خلاصة الأثر ٢/٣٤١

(٣) نفحة الريحانة ١/٧

(٤) نفحة الريحانة ١/٨

حتى توفى سنة اثنتين وتسعين وألف [١] ، فعاد إلى دمشق [٢] .

ولعل المحبى أقام فى دمشق حتى سنة ثمان وتسعين وألف ، فإنه لازم شيخه إبراهيم ابن منصور الفتال ، حتى توفى بها فى هذه السنة [٣] .

ثم كانت رحلته إلى الحجاز للحج والمجاورة ، وهناك تلق من الأفواه وعرف من المؤلفات ، ماجعل منه مادة لكتابيه : خلاصة الأثر ، ونفحة الريحانة ، فيما يتصل بأخبار اليمن والبحرين والحجاز [٤] .

وحين فارق البيت الحرام ، عزم على الرحلة إلى القاهرة ، فتوجّه أولا إلى الشام ، وظل بها منعزلا عن الناس ، حتى ورد إليها الأستاذ زين العابدين البكرى ، فأخرجه من عزلته ، وأشار عليه بالرحلة معه إلى القاهرة ، حين هم بالرجوع إليها ، ولكن عائقا خلفه ، فظل بدمشق إلى أن قدم إليها المولى عبد الباقى ، المعروف بعارف ، فى طريقه إلى القاهرة ، فصحبه إليها .

وفى القاهرة طابت له الحياة فى ظل الأستاذ زين العابدين البكرى ، والقاضى عبد الباقى ، المعروف بعارف [٥] .

ولست أدرى متى غادر المحبى القاهرة إلى دمشق ، ولعله فعل ذلك بعد وفاة الأستاذ زين العابدين البكرى ، سنة سبع ومائة وألف [٦] .

وقد اشتغل الأمين المحبى بالقضاء ، فناب فى مكة ، ومصر [٧] .

كما اشتغل بالتدريس ، بعد عوده من مصر ، حيث ولى تدريس الأمينية ، وبقيت عليه إلى وفاته [٧] .

---

(١) خلاصة الأثر ٤/١٤٢

(٢) نفحة الريحانة ١/٩

(٣) خلاصة الأثر ١/٥٣ .

(٤) خلاصة الأثر ١/٥٣ ، ونفحة الريحانة ١/١٣ ، ١٤

(٥) نفحة الريحانة ١/١٧ ، ١٨ .

(٦) سلك الدرر ١/١٥١

(٧) سلك الدرر ٤/٨٦ .

وفى دمشق عانى المحبى من أمراض استولت عليه، فقد ذكره الشمس الغزى، فى كتابه لطائف المنة، فقال [1] : «اجتمعت به مرتين، فى خدمة والدى؛ فإنه كان بينه وبين المترجم مودة أكيدة، وسمعت من فوائده وشعره، وكان قد أدركه الهرم، بسبب استيلاء الأمراض عليه».

٤

توفى المحبى فى ثامن عشر جمادى الأولى، سنة إحدى عشرة ومائة وألف، وصلى عليه الشيخ عثمان القطان، فى الجامع الأموى، ودفن بتربة الذهبية، من مرج الدحداح، قبالة قبر العارف بالله أبى شامة [2].

وقد أكثر أدباء دمشق فى رثائه [3].

فرثاه السيد مصطفى الصمادى بقصيدة، أولها:

كن خليلى على البـكاء مُعينا   وأفض ماء مقلتيك مَعِينـا

ورثاه محمد صادق بن محمد، الشهير بابن الخرّاط، بقصيدة، أولها [4] :

هذا المصاب الذى كنـا نحاذره   القلبُ من هَوْله شُقّت مَرائرُهُ

ورثاه محمد بن أحمد الكنجى، بقصيدة، أولها:

قفا صاحبَىّ أعينا الحزينا   وياعين سُحّى على ما لقينـا

ورثاه السيد سليمان الكاتب الحموى، بقصيدة، أولها:

لو يفدى الحىُّ ميّتا لفدينا   بأعزّ النفوس منا الأمينا

---

(١) نقل المرادى هذا، فى سلك الدرر ٤/٨٦.
(٢) سلك الدرر ٤/٩١، وترجمة السؤالاتى لأستاذه المحبى، فى آخر ذيل النفحة.
(٣) ذكر هذه المراثى كاتبها السؤالاتى، فى ترجمة أستاذه المحبى، فى آخر ذيل النفحة، وعنه أنقل.
(٤) أورد المرادى، فى سلك الدرر ٤/٩١ ثلاثة أبيات من أولها.

ورثاه عبد الحي بن علي بن الطويل ، الشهير بالخال ، بقصيدة ، أولها :

لو أسمعوا ناعيك رَضْوَى إذ نعَى ... لَوَهَى وخال إلى الثرى متصدِّعا

ورثاه القاضي زين الدين بن سلطان ، بقصيدة ، أولها :

همام حَوَى علماً وحاز فضائلا ... بتأليفه قد شرَّف الوقت والنادي

ورثاه عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرزاق ، بقصيدة ، أولها :

خطْبٌ ألمَّ وأدمع تتقطَّرُ ... ونوائب منها الحشا يتفطَّرُ

ورثاه مصطفى بن حمد الترزي ، بقصيدة ، أولها :

وَقْع الحوادث فوق وقع الأسْهُمِ ... تُضْنى القلوب بحُرْقة وتألُّمِ

ورثاه سعود بن يحيى العباسي ، الشهير بالمتنبي ، بقصيدة ، أولها :

عليك المعالي لا على البدرِ تأسفُ ... لأنك أسمى في الكمال وأشرفُ

ورثاه محمد السمّان ، بقصيدة ، أولها :

مافوق خَطْب المنون طارقْ ... بصوته يصدع الخلائقْ

ورثاه محمد المحمودي ، بقصيدة ، أولها :

أضحتْ ربوع الفضل بعدك خاليهْ ... وعيونهم من أجل فقْدك باكيَهْ

٥

وحياة المحبي حافلة بالإنتاج العلمي ، زاخرة بالمأثورات الأدبية ، والجهود الخلاقة ، في رفعة اللغة العربية وآدابها .

فهو صاحب نثر فني يقارع به كتاب عصره ، ويغلبهم على ما أرادوا ، من سجع ملتزم ، وازدواج يسيطر على أسلوبهم .

تجد هذا واضحا في صدر التراجم التي أثبتها لمعاصريه ، في خلاصة الأثر ، وفي نفحة

الريحانة ، كما تجده فيما دار بينه وبينهم من مراسلات ومحاورات .

ولقد ساق فى آخر نفحة الريحانة[1] فصلا ، أورد فيه طرفا من فصوله القصار ، يدل على إجادته صنعة الكتابة وإحكامه لها .

وكما برع المحبى فى النثر ، فقد ضرب بسهم وافر فى الشعر ، والنفحة[2] مشحونة بمعارضاته ومراسلاته للشعراء ، كذلك فقد أورد طرفا من شعره فى خلاصة الأثر .

وأول شعر قاله ، فى فراق ترب له وحبيب ، وقد ساقه السؤالاتى ، فى ترجمته لأستاذه ، فى آخر ذيل النفحة ، كما نقله عنه المرادى .

يقول المرادى[3] : « وكان له ترب بدمشق ، ألف بينهما المكتب ، وحبيب كان يرتع معه أيام الصبا ويلعب ، فكان فراقه عنده من أعظم ذنوب البين ، وفى المثل : أقبح ذنوب الدهر تفريق المحبين ، فكتب هذه الأبيات ، وهى أول ما سمح به فكره من النظم :

لا كانتِ الدنيا وأنت بعيدُ ... ياواحداً أنا فى هواه وحيدُ
يامن لبستُ لهجره ثوبَ الضنى ... وخلعتُ بُرْدَ اللهو وهو جديدُ
وتركتُ لذّاتِ الوجود بأسرها ... حتى استوى المعدومُ والموجودُ
قسماً بما ألقى عليك من العدى ... ومحبُّ وجهك فى الورى محسودُ
إن المحب كما علمتَ صَبابةً ... فالصبرُ ينقص والغرام يزيدُ
ولقد ملأتَ القلب منك مهابةً ... فعلىَّ منك إذا خلوتُ شهيدُ
والحرصُ مذمومٌ بإجماع الورى ... إلا عليكَ فإنه محمودُ

وفى الفصل الذى تحدث فيه المحبى عن نفسه ، فى آخر نفحة الريحانة ، ساق جملة من

(١) لوحات ٣٤٥ ا - ٣٤٧ ب ، من النسخة ا .
(٢) سيتضمن فهرسا الأعلام والقوافى بيان ذلك .
(٣) سلك الدرر ٤/٨٧ .

١٧ نظمه، كما ذكر قدرا صالحا من مقصورته النبوية، التى بدأها بقوله:

دع الهوى فآفة العقل الهوى و من أطاعه من المجد هوى
و ذكر أرجوزته فى الأمثال، التى بدأها بقوله:

أحسن ما سارت به الأمثال حمدا له ماله مثال
كما ذكر عددا من المقطعات، و الأبيات المفردة [١] .

٦

و المحبى أيضا صاحب مؤلفات قيمة، تكشف عن علمه، و تجلى أدبه، و تدل على عقله.

و نثبت هنا ما وصل إلينا علمه، من هذه المؤلفات:

فمنها:

١ -الأمالى.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨۶ ، باسم «كتاب أمالى» .

***

٢ -جنى الجنّتين فى تمييز نوعى المثنيين.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨۶ ، باسم «المثنى الذى لا يكاد يتثنى» .

و قد ألف المحبى هذا الكتاب إلحاقا بكتابه «ما يعول عليه فى المضاف و المضاف إليه» فقد قال فى مقدمته [٢] : «لمبدع النشأتين حمد و شكر لا يبرحان دائمين. . .

و بعد. . . لما أتممت كتابى، ما يعول عليه فى المضاف و المضاف إليه، عنّ لى أن ألحقه بكتاب عجيب، فى نوعى المثنى، الجاريين على الحقيقة و التغليب؛ لكمال الارتباط بين

---

١) نفحة الريحانة، لوحات ٣۴٧ ب- ٣۵٠ ب، من النسخة ا.
٢) جنى الجنتين، صفحة ۵.

الاثنين، و إن كانا فى الأكثر يعدّان من المتباينين. . . و وسمته بجنى الجنتين فى تمييز نوعى المثنيين» .

و قد رتب الكتاب على مقدمة فى تعريف المثنى الحقيقى، و فصلين: الأول فى المثنى الحقيقى، و جعله على حروف المعجم؛ و الثانى فى المثنى الجارى على التغليب، و صدره بمقدمة، و جعله على حروف المعجم أيضا، و جعل له خاتمتين: الأولى فيما أضيف من المثنى، و الثانية، فيما أضيف إليه من المثنى، و أجراهما أيضا على حروف المعجم.

و جعله هدية لصنوى الفضل و الأدب: محمد بن إبراهيم العمادى، و محمد بن حسين القارى.

و هذا الكتاب من آخر ما ألف المحبى، فقد تم تأليفه ضحوة نهار الجمعة الأزهر، ثانى جمادى الأولى، من شهور سنة عشر و مائة و ألف [1] .

طبع الكتاب فى مطبعة الترقى، بدمشق، سنة ١٣٤٨ ه، نشرته مكتبة القدسى و البدير.

و توجد نسخه الخطيه فى:

دار الكتب المصرية ٢١٣ لغة تيمور

دار الكتب المصرية ٢٩٠ لغة تيمور

***

حاشية على القاموس-القاموس

***

٣ -حصة على ديوان المتنبى.

---

١) جنى الجنتين صفحة ١٧١ .

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ۴ / ۸۶ .

***

۴ -خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ۴ / ۸۶ ، و قال «ترجم فيه زهاء ستة آلاف» .

و ذكره بروكلمان، فى تاريخ الأدب العربى، ملحق ۲ / ۴۰۳ .

يقول المحبى فى مقدمته [١] : «. . و بعد، فإنى من منذ عرفت اليمين من الشمال. . .

لم أزل و لوعا بمطالعة كتب الأخبار، مغرى بالبحث عن أحوال الكمل الأخيار، و كنت شديد الحرص على خبر أسمعه، أو شعر تفرق شمله فأجمعه، خصوصا لمتأخرى هذا الزمن. . . حتى اجتمع عندى ما طاب وراق، و زين بمحاسن لطائفه الأقلام و الأوراق، فاقتصرت منه على أخبار أهل المائة التى أنا فيها، و طرحت ما يخالفها من أخبار من تقدّمها و ينافيها» .

و قد اعتمد المحبى فى تاريخه هذا على المعاصرة، و على المصادر التى وجدها تحت يده، و هى:

ذيل النجم الغزى.

طبقات الصوفية، للمناوى.

تاريخ الحسن البورينى.

ذيل تاريخ الحسن البورينى، لوالده فضل اللّه المحبى.

خبايا الزوايا، و الريحانة، للشهاب الخفاجى.

ذكرى حبيب، للبديعى.

---

١) خلاصة الأثر ۱ / ۲ ، ۳

٢٠ منتزه العيون و الألباب، لعبد البر الفيومى.

ذيل الجمال محمد الشلى المكى، على النور السافر.

المشرع الروى فى أخبار آل باعلوى، للجمال أيضا.

تراجم منقولة من تاريخ، ألفه الصفى بن أبى الرجال اليمنى، فى أهل اليمن.

سلافة العصر، لابن معصوم.

ذيل الشقائق النعمانية، لابن نوعى، و هو بالتركية فى معظم أهل الدولة العثمانية.

قطعة من تاريخ، أنشأه الشيخ مدين القوصونى المصرى، ذكر فيه تراجم كبراء العلماء من أهل القاهرة.

مجاميع، و تلقيات، و تعاليق.

و قد طبع الكتاب بالمطبعة الوهبية، بمصر سنة ١٢٨٤ ه، فى أربع مجلدات.

و توجد نسخه الخطية، فى:

دار الكتب المصرية ٥٤٣ تاريخ

دار الكتب المصرية ٣٩٤١ تاريخ

دار الكتب المصرية ١٠٠٩ تاريخ تيمور

دار الكتب المصرية ٢١٠٧ تاريخ طلعت

دار الكتب الوطنية، بيروت-ف ٦٥ ، و منها مصورة (ميكرو فيلم) محفوظة بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية برقم ١٠٣٧ تاريخ.

بريل (H) ١ / ١١٢ ، ٢ / ٢١٣

باريس ٥٨٣٠

٢١المتحف البريطانى ٤٣ LD ٧٣٠٥

عاشر أفندى ٦٤٤

شهيد على ١٨٦٨

بانكيبور ١٢ ، ٤ / ٦٦١

توب كايو ٩/٢

ليبزج ٦٨٣

و لعبد الحى الغازى العمرى، المتوفى سنة ١١٩١ هـ مختارات من هذا الكتاب [١].

***

٥ -الدر الموصوف، فى الصفة و الموصوف

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ .

***

٦ -ديوان شعره.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ .

و بروكلمان، فى تاريخ الأدب العربى، ملحق ٢ / ٤٠٤ .

يقول المحبى فى مقدمته: «إن أحسن ما توّج به رأس كتاب، و أجمل ما حلى بعقده صدر خطاب. . . حمد إله جعل الشعراء أمراء الكلام. . . و بعد فإنى لم أزل منذ ألقيت الألواح، و ميزت بين المصباح و الصباح، أنفق نقد عمرى فى تحصيل الأدب. . . و كم أعلام بهم التقيت، و نجوم بصحبتهم ارتقيت. . . حتى استخرجت من دفائنهم ما كنزوه من ميراث النبوة، و ملكت فى خزائنهم ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة، و صدحت فى رياض مجالسهم صدح البلابل؛ لما أغدقوا علىّ من

١) تاريخ الأدب العربى، لبروكلمان، ملحق ٢ / ٤٠٣ .

٢٢ كرمهم التى طلّها و ابل. . . و لم يكن فى الخاطر تعليق القصائد. . . إلى أن سنح للفكر الفاتر. . . أن أجمع ما تفرق من تلك القصائد فى ديوان. . . فجمعت منها ما حضر، و ما قلته فى أوقات الحضر. .» .

و ابتدأ المحبى ديوانه بالمقصورة النبوية، و أولها:

دع الهوى فآفة العقل الهوى و من أطاعه من المجد هوى
و لم يرتب ديوانه على القوافى، و لم يلتزم أيضا ترتيبه على الأغراض، و لكنك تجد مدائحه فى شخص بعينه مجموعة فى مكان من الديوان، ثم يتبعه بمن هو دونه فى الرتبة مثلا.

و توجد من هذا الديوان نسخة خطية فى دار الكتب المصرية، برقم ٤٠٤ شعر تيمور، و على صدرها أنها بخط الأمين المحبى نفسه، و مما يؤكد هذا تعليق المحبى بعض قصائده على هوامش الصفحات، مما استحدث قوله، أو فاته وضعه فى مكانه.

***

ذيل نفحة الريحانة-نفحة الريحانة

***

٧ -قصد السبيل، فيما فى اللغة العربية من الدخيل

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ ، باسم: «قصد السبيل فيما فى لغة العرب من الدخيل» .

و قد صنع المحبى هذا الكتاب جامعا به أعمال من سبقوه، مستدركا عليهم، مضيفا إلى أعمالهم زيادات تربو عليها، و قد ضم إليه ما عربه المتأخرون، مع عدم وروده عمن يعتد به.

يقول فى مقدمته: «الحمد للّه على نعمة اللسان. . . و بعد. . . لما كان الدخيل من

٢٣ الألفاظ يرنو عن الخفاء رنوّ الألحاظ، و طال ما جال فى بالى، مع أنى مشتغل بتاريخ بلبالى؛ أن أجمع فيه كتابا حافلا، يكون لبيان مفرداته كافلا؛ علما أن من ألّف فيه لم يستوف المقصود، و منهم من وعد فى ديباجته بأشياء فلم يوفّ بالوعود، و كتاب الجواليقى و إن كان جليلا، إلا أنه يعد عند الناظرين نزر اقليلا، و أما الخفاجى فإنه اقتصر على ما جنح إليه فكره، و لم يستوعب ما يلزم فى هذا الشأن ذكره، و أما القاضى الأنطاكى فإنه خرج عن الصدد، و غفل عما لا يستحسنه كل أحد، فكتابه كتاب وفيات استطردها، و بنى عليها أبواب كتابه و أطّدها. . . فكتابى هذا قد جمع ما فى هذه الكتب من مواد مذكورة، مع زيادات تربو عليها أرجو ألا تكون منكورة، فإنى قد ضممت إليه المولد و غلط الخاصة و العامة» .

و قد قدم المحبى لكتابه بمقدمة طويلة فى المعرب و الدخيل و المولد، استغرقت نحو عشرين صفحة، و رتب الكتاب على حروف المعجم، و وصل فيه إلى «مقدونيه» فى حرف الميم، و بعد هذا جاء فى الكتاب: «هذا آخر ما وجد فى مسودة المصنف، بخطه رحمه اللّه تعالى» .

و توجد نسخة من هذا الكتاب فى دار الكتب المصرية، برقم ٢٩٥ لغة تيمور.

***

٨ -ما يعوّل عليه، فى المضاف و المضاف إليه.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ .

و ذكره بروكلمان، فى تاريخ الأدب العربى، ملحق ٢ / ٤٠٤ .

و لقد ألف المحبى كتابه هذا لبسط كتاب أبى منصور الثعالبى «ثمار القلوب فى المضاف و المنسوب» ، و إضافة أشياء لا بد من إضافتها إليه.

٢۴ يقول فى مقدمته: «حمد اللّه تعالى نفسه أجلّ ما يعوّل عليه. . . أما بعد. . . لم أزل أجوب رياض الأدب، فأجنى ثمارها الطريقة عن كثب، و كان عندى أنموذج ثمار القلوب، بغية الحريص و سر المطلوب، أتفكه منه بالجنى الدانى، و أتناول منه ما تتهافت من بدائعه خرّد المعانى، و هو أجل كتاب وضعه أبو منصور. . . و قد كنت أراه قابلا للبسط، محتاجا فى أكثر ألفاظه إلى البيان و الضبط، و كان يخطر لى أن أضيف إليه أشياء لا بد منها، و أضمنه لطائف خلا أكثر الكتب المشهورة عنها، فتصدفنى عن ذلك الصوادف، و تصرفنى دون الوصول إليه الصوارف، حتى انضاف إلى ذلك التماس ورد علىّ من أخ ما زال اعتناؤه منساقا إلىّ. . . فبادرت إلى ملتمسه من غير مهلة، و راعيت له طريقة هينة سهلة؛ لكون رتبته على حروف المعجم، و بينت من ألفاظه ما أشكل و أعجم، فدونك كتابا جمع فأوعى، و دعا شوارد اللطافة فأجابته طوعا» .

بدأ المحبى كتابه ب »أبدى الصفحة» من حرف الهمزة و الألف، و ختمه ب »يوم اليمامة» ، و بخاتمة فى إضافة الأيام، من حرف الياء.

و توجد نسخ الكتاب الخطية فى:

دار الكتب المصرية ۴٧۵۴ أدب

دار الكتب المصرية ٧٨ م أدب

مكتبة الأزهر [١۶٢٩] ١۶۵٨٢

توب كايو ٢٤٥٥

عاطف ٢٢۴٧

أحمد الثالث ٢۴۵۵

أمانة خزينة ١٥١٦

٢٥عاشر أفندى ٣٨٨

مكتبة السيد حسن حسنى عبد الوهاب، بتونس

و النسخ الأربع الأخيرة، مصورة (ميكرو فيلم) بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، بأرقام ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٨ أدب.

***

المثنى الذى لا يكاد يتثنى-جنى الجنتين

***

٩ -الناموس. حاشية على القاموس

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ ، و ذكر أن المنية صادفته قبل أن يكمل.

***

١٠ -نفحة الريحانة، و رشحة طلاء الحانة.

ذكره المرادى، فى سلك الدرر ٤ / ٨٦ .

و بروكلمان، فى تاريخ الأدب العربى، ملحق ٢ / ٤٠٣ ، ٤٠٤ .

و قد جعل المحبى كتابه هذا ذيلا على «ريحانة الألبا، و زهرة الحياة الدنيا» [١] لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المصرى، المتوفى سنة تسع و ستين و ألف.

يقول المحبى [٢] : «و كان كتاب الريحانة للشهاب، الذى أغنى عن الشمس و القمر، و أطلع الكلام ألذ من طيب المدام و السمر. . . لم يزل من عهد صباى، قبل نوم سيارة

---

١) حققت هذا الكتاب، و صدر فى العام الماضى، عن دار إحياء الكتب العربية فى جزأين.

٢) نفحة الريحانة ١ / ١٠ .

شمولى و صباى؛ أمنية رجائى الحائم، و بغية قلبى الهائم. . . فحطر لى أن أقدح فى تذييله زندى، و آتى فى محاكاته بما اجتمع من تلك الأشعار عندى.»

و لقد شغل المحبى نفسه بمادة هذا الكتاب، منذ تلقى العلم، و ميز بين فنونه، و تقلب فى مجالس الأدباء و الشعراء.

يقول فى مقدمته [1] : «و بعد؛ فإنى منذ ألقيت الألواح، و ميزت بين الصباح و المصباح، جعلت الأدب لناظرى ملمحا، و اتخذته لفكرى من بين المعارف مطمحا. . .

فطالما وردت منه ما صفى من الأمواه، و بسطت حجرى لالتقاط درره من الأفواه. . .

هذا و غصن شبابى غض و ريق، و تحايا مدامى غض و ريق. . فتناولت أحاديث كالأرياق، نظمتها كالعقود تلوح من الأزياق، و ذلك فى مسقط رأسى، و مشتعل ذؤابة نبراسى. . . البلدة الفيحاء دمشق، الطيبة العرف و النشق. . . فوسقت فى بحارهم السفائن، و استخرجت من محاسنهم الدفائن» .

ثم سافر إلى الروم، و عاد منها إلى دمشق، بعد وفاة أستاذه محمد بن لطف اللّه بن زكريا، الشهير بشيخ محمد العربى، سنة اثنتين و تسعين و ألف، فاشتغل بجمع أوراقه التى كان أهملها، و جعلها مسلاته و أنيسه.

يقول المحبى [2] : «و أنا فى الدنيا الموصوفة بالنضارة، من جملة النظارة. . . لا سمير لى أوانسه، و لا جليس عندى أجانسه، سوى أوراق مزقتها الريح، و فرقت شملها التباريح. . . أكثر ما فيها أشعار لأهل العصر، الذين ضاق عن الإحاطة بمفاخرهم نطاق الحصر» .

و من ذلك الوقت صح عزمه، فى تذييل كتاب الشهاب الخفاجى «ريحانة الألبا» ،

---

١) نفحة الريحانة ١ / ٤ - ٦

٢) نفحة الريحانة ١ / ٩ ، ١٠ .

٢٧ و قد وقف الخفاجى بكتابه إلى منتصف القرن الحادى عشر، بينما امتدت الحياة بالمحبى إلى أوائل القرن الثانى عشر، و لهذا فقد جاء كتاب المحبى ضعف كتاب الخفاجى، و فحوى تراجم كثير من الأدباء، و سجل كثيرا من تراثهم.

و لقد رغب المحبى فى ألا يكرر من ترجمهم الخفاجى، و لكنه اضطر أحيانا إلى ذكر من ترجمه الخفاجى، استكمالا لعمله، و استدراكا عليه.

يقول المحبى [١] : «و كنت عزمت على ألا أترجم أحدا ممن ترجمه، ثم عدلت؛ لأنى رأيت ألسنة النقاد عن زيف بعض تراجمه مترجمة؛ فإنه نوّه بحزب، إلا أنه قصر فى الإطراء بشعارهم، و إن أطنب فى آخرين؛ إلا أنه لم يذكر عيون أشعارهم.

على أنه-نور اللّه مزاره، و محى من صحيفته يوم العرض أوزاره-أغفل من القوم حزبا نقايا، و كأنه أومأ إلى قولهم: فى الزوايا خبايا.

فذكرت من أغفله ذكرا شافيا، و أعدت مما فوّته قدرا كافيا» .

و لقد بنى المحبى كتابه على ثمانية أبواب:

الأول، فى محاسن شعراء دمشق و نواحيها، و فى هذا القسم ترجم لكثير من شيوخه [٢] ، و لبعض زملائه فى الطلب [٣]ممن أدرك بداية القرن الثانى عشر، كما أنه خص البيوت العلمية، مثل: بيت حمزة، و بيت العماد، و بيت المحبى. . إلخ بفصل [٤] ترجم فيه لأعلامهم، و قد استغرق الباب الأول أكثر من ثلث كتابه.

الثانى، فى نوادر أدباء حلب.

الثالث، فى نوابغ بلغاء الروم.

---

١) نفحة الريحانة ١ / ١٢
٢) نفحة الريحانة ١ / ٥٣٩ .
٣) نفحة الريحانة ٤٢٩/١.
٤) يبدأ الجزء الثانى من نفحة الريحانة بهذا الفصل، إن شاء اللّه تعالى.

٢٨ الرابع، فى ظرائف ظرفاء العراق و البحرين.

الخامس، فى لطائف لطفاء اليمن.

السادس، فى عجائب نبغاء الحجاز.

و قد استقى المحبى أخبار المترجمين فى البابين الخامس و السادس، من علماء البلدين (الحجاز و اليمن) ، حين منّ اللّه عليه بالحج و الزيارة [١] ، و جرت بينه و بين أدبائهم مراسلات و محاورات سجلها فى كتابه.

السابع، فى غرائب نبهاء مصر.

الثامن، فى تحائف أذكياء المغرب، و هو أصغر الأبواب حجما.

ثم جمع المحبى أوراقه، و انتقل إلى القاهرة، صحبة المولى عبد الباقى، المعروف بعارف، و هناك، و فى ظلال هذا المولى الهمام، و الأستاذ زين العابدين البكرى، و ما صاحب هذه الإقامة من الراحة و الدعة، شرع المحبى فى نسخ ما سوده أولا و ثانيا، و استقام له عمله فى هذه الصورة الطيبة، التى تركها بين أيدى الناس [٢] .

و توجد النسخ الخطية لنفحة الريحانة فى:

دار الكتب المصرية ٣٣٤ أدب

دار الكتب المصرية ١٢٨٧ أدب

دار الكتب المصرية ١٢٤ م أدب

دار الكتب المصرية ٤٨٧١ أدب طلعت

دار الكتب المصرية ٤٧٧٩ أدب طلعت

مكتبة الأزهر [٢٤٤]أباظة ٦٨٤٩

---

١) نفحة الريحانة ١/١٣،١٤

٢) نفحة الريحانة ١ / ١٦ - ١٨ .

٢٩مكتبة بلدية الإسكندرية ن ٢٠٣٨ -ج

الظاهرية بدمشق ٦٤ - ٢٧ ، ٢٨

و منها مصورة (ميكرو فيلم) بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، برقم ٨٥٦ تاريخ.

دار الكتب الوطنية، ببيروت، و منها مصورة (ميكرو فيلم) بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، برقم ١٢٩١ تاريخ.

الموصل ٤٧،٣٦

آصاف ١ / ٧٩٠ (٧١)

المتحف البريطانى (L D ٥ V) ٦٥١٦

***

و لم تقف رغبة المحبى فى تسجيل روائع الأدب فى عصره عند نفحة الريحانة، فقد جمع بعدها قدرا صالحا، أثبته فى ذيل نفحة الريحانة.

يقول فى مقدمة الذيل [١] : «و بعد؛ فإنى بعون اللّه سبحانه لما أتممت كتاب نفحة الريحانة. . . قيض اللّه شيطانا حاسدا لم يكن فى بالى. . . فأراد مناظرته مع نوع ازدرا، و كتب منه على ما سمعت قدرا نزرا، و من جملة ما عابه ترك أناس ممّن يترجم، و نسبنى إلى الغرض فى تركهم و حاشاى من زعم مرجّم. . . و قد استدركت الآن من لم يذكر، و رأيتهم أحق من يحمد من مثلى و يشكر، فشرعت بفضل الهمة، فى هذه التتمة المهمة» .

و لكن الأجل لم يمهل الأمين المحبى حتى ينسق هذه التراجم، و يضمها فى كتاب،

---

١) لوحة ٢٦٨ ب، و لوحة ٢٦٩ ا. من النسخة ب

٣٠ فاخترمته المنية دون هذه الغاية، و عثر تلميذه محمد بن محمود السؤالاتى على أوراق أستاذه، فجمعها و نظمها و أضاف إليها، و ترجم للمحبى فى نهاية عمله هذا.

يقول السؤالاتى [١] : «قد ظفرت يدى بدرر فى مسودات المرحوم. . . السيد محمد الأمين المحبى. . . قد نظم تلك الدرر، و ترجم بها شرذمة هم من الأدب محل الغرر، طرز بها ذيل كتابه نفحة الريحانة و رشحة طلاء الحانة، و رام إلحاقها به فمنعه الدهر عن مرامه و خانه. . . فالتقطت تلك الدرر و العقيان، و حليت بها جيد الزمان، و رتبتها بهذا الترتيب النضير، معتمدا فى ذلك على قطعة بخط المرحوم فى ذلك تشير. . . و جعلتها ثلاثة فصول. . . و رأيت أدباء العصر فى دمشق المحمية، مستحسنين جمع هذه الجواهر السنية، فجمعت شملها المبدد، و ضممت إليها درامنضد، من نظمهم اللطيف، و نزرهم المنيف، بعد أن كان غالب التراجم خاليا من الأشعار فأثبت ما طاب للنفس إثباته مع أنى ممن لم يلحق لفرسان هذا الميدان غبار.

و ذكرت بعد ذلك قليلا من أوصاف و أشعار المصنف، و ختمت به لأنه خاتمة كل محرر و مؤلف» .

و قد أتم محمد بن محمود السؤالاتى الحنفى العثمانى، عمله هذا، فى أواخر شوال سنة إحدى عشرة و مائة و ألف [٢] .

و توجد النسخ الخطية لذيل النفحة فى:

دار الكتب المصرية ١٢٧٠ أدب

دار الكتب المصرية ٤٧٧٩ أدب طلعت

الظاهرية بدمشق ٦٤ ، ٧٨

---

١) لوحة ٢٦٨، من النسخة ب.
٢) سجل هذا التاريخ السؤالاتى فى خاتمة ترجمته للمحبى، التى وضعها فى آخر ذيل النفحة.

۳۱دار الكتب الوطنية ببيروت، و توجد منها مصورة (ميكرو فيلم) بمعهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، برقم ۱۲۹۱ تاريخ.

***

و بدار الكتب المصرية منتخبات من نفحة الريحانة، محفوظة برقم ۱۲۸۰ أدب، باسم «مختارات نفحة الريحانة، و رشحة طلاء الحانة» لم يعلم جامعها، و أبوابها على الترتيب الذى سبقت عليه أبواب النفحة.

***

و هكذا استطاع المحبى أن يسهم إسهاما كبيرا فى تسجيل أدب القرن الحادى عشر، مع الشهاب الخفاجى، و ابن معصوم المكى، بل إنه سجل قدرا صالحا من أدب القرن الثانى عشر.

و ستخرج-إن شاء اللّه تعالى-نفحة الريحانة، و ذيلها، فى ستة أجزاء، تتضمن الأربعة الأولى «نفحة الريحانة» ، و يتضمن الجزءان الأخيران «ذيل النفحة» ، و الفهارس العامة و الاستدراكات و التصويبات للنفحة و الذيل معا.

أعان اللّه على إتمام ذلك، بحوله و قوته.

٧

و لقد أدت هذه النهضة، فى تدوين تايخ الأدب العربى، فى القرن الحادى عشر، و التى رفع لواءها الشهاب الخفاجى، و الأمين المحبى، و ابن معصوم المكى، إلى نهضة أخرى شبيهة بها فى القرن الثانى عشر.

فقد ألّف عصام الدين عثمان بن على بن مراد بن عثمان العمرى، الموصلى، الحنفى

٣٢ المتوفى سنة أربع و ثلاثين و مائة و ألف، كتابه «الروض النضر فى ترجمة أدباء العصر» [١].

و ذكر الأستاذ خير الدين الزركلى [٢] أن عبد الغنى بن إسماعيل النابلسى، المتوفى سنة ثلاث و أربعين و مائة و ألف، ألّف «ذيل نفحة الريحانة» .

و يذكر المرادى [٣] ، أن سعيد بن محمد بن أحمد السّمان، الشافعى، الدمشقى، المتوفى سنة اثنتين و سبعين و مائة و ألف: «أراد تأليف كتاب يترجم به شعراء عصره و جمع آثارهم، و ارتحل للبلاد بقصد ذلك، و أراد أن يجعله كالنفحة للأمين المحبى، و الريحانة للشهاب الخفاجى، و السلافة لابن معصوم المكى، فلم يتم له ذلك، و بقى فى المسودات، و انتثر، و تبدد، و المنية عاقته عن نشر هذه الفوائد السنية» .

و لكن المرادى الذى يذكر أن الكتاب انتثر و تبدد، يملأ كتابه سلك الدرر بالنقل عنه، و الرجوع إليه.

فقد نقل عنه تراجم هؤلاء الأعلام:

١ -إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم، المعروف بابن الحكيم، الحنفى، الصالحى، الدمشقى، المتوفى سنة اثنتين و تسعين و مائة و ألف [٤].

٢ -إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، المعروف بالدكدكجى، الحنفى، التركمانى الدمشقى، المتوفى سنة اثنتين و ثلاثين و مائة و ألف [٥].

٣ -السيد أحمد بن عبد اللطيف التونسى، نزيل دمشق، المغربى، المتوفى فى حدود سنة سبعين و مائة و ألف [٦].

---

١) فى معهد المخطوطات، بجامعة الدول العربية، مخطوطة منه، برقم ١٠٨٠ تاريخ.
٢) الأعلام ١٥٨/٤
٣) سلك الدرر ٢ / ١٤٢ .
٤) سلك الدرر ١٠/١
٥) سلك الدرر ١ / ٢٠ .
٦) سلك الدرر ٢٤/١.

٣٣ ٤ -السيد أحمد بن محمد بن محمود الفلاقنسى، الدمشقى، المتوفى سنة ثلاث و سبعين و مائة و ألف [١].

٥ -أحمد بن محمد بن عبد الرزاق البهنسى، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة ثمان و أربعين و مائة و ألف [٢].

٦ -أحمد بن ناصر الدين بن على الحنفى، البقاعى، ثم الدمشقى، المتوفى سنة إحدى و سبعين و مائة و ألف [٣].

٧ -أسعد بن أحمد بن عبد الكريم، المعروف بالعبادى، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة خمس و عشرين و مائة و ألف [٤].

٨ -إسماعيل بن أحمد بن على الحنفى، المنينى، الدمشقى، المتوفى سنة اثنتين و تسعين و مائة و ألف [٥].

٩ -إسماعيل بن محمد بن عبد الهادى العجلونى، الجراحى، الشافعى، الدمشقى، المتوفى سنة اثنتين و ستين و مائة و ألف [٦].

١٠ -حسين بن أحمد، المعروف بابن مصلى، الدمشقى، المتوفى تقريبا سنة اثنتين و خمسين و مائة و ألف [٧].

١١ -السيد حسين بن عبد الرحمن بن محمد، الشهير بالسرمينى، الحنفى، الدمشقى المتوفى سنة اثنتين و سبعين و مائة و ألف [٨].

١٢ -خليل بن أسعد بن أحمد الصديقى، الدمشقى، الحنفى، المتوفى سنة ثلاث و سبعين و مائة و ألف [٩].

---

١) سلك الدرر ١ / ١٦٣ .
٢) سلك الدرر ١٩٢/١.
٣) سلك الدرر ١ / ٢٠٦ .
٤) سلك الدرر ٢٣٠/١.
٥) سلك الدرر ١ / ٢٤٢ .
٦) سلك الدرر ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ .
٧) سلك الدرر ٤٢/٢.
٨) سلك الدرر ٢ / ٥٦ .
٩) سلك الدرر ٨٥/٢.

٣٤ ١٣ -خليل بن محمد بن إبراهيم الفتّال، الدمشقى، الحنفى، المتوفى سنة ثلاث و سبعين و مائة و ألف [١] .

١۴ -سعيد بن على الكنانى، الدمشقى، المتوفى سنة خمس و خمسين و مائة و ألف [٢].

١۵ -سعيد بن محمد أمين بن خليل، المعروف بالسعسعانى، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة أربع و أربعين و مائة و ألف [٣].

١۶ -سعدى بن عبد القادر العمرى، الشافعى، الدمشقى، المعروف بابن عبد الهادى، المتوفى سنة سبع و أربعين و مائة و ألف [٤].

١٧ -سليمان بن السمّان، المعروف بابن الدب، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة نيف و سبعين و مائة و ألف [٥].

١٨ -صادق بن محمد بن حسن الخرّاط، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة ثلاث و أربعين و مائة و ألف [٦].

١٩ -عبد الرحمن بن محمد بن على، الشهير بالبهلول، النحلاوى، الشافعى، الدمشقى، المتوفى سنة ثلاث و ستين و مائة و ألف [٧].

٢٠ -عبد الرحيم بن على المخللاتى، الشافعى، الدمشقى، المتوفى سنة أربعين و مائة و ألف [٨].

٢١ -السيد عبد الرزاق بن محمد بن عبد الرزاق، المعروف بالبهنسى، الحنفى، الدمشقى، المتوفى سنة تسع و ثمانين و مائة و ألف [٩].

---

١) سلك الدرر ٢ / ٩٩ .
٢) سلك الدرر ٢ / ١٢٣ .
٣) سلك الدرر ٢/١٢٨.
۴) سلك الدرر ٢ / ١۵١ ، ١۵٢ .
۵) سلك الدرر ٢/١٦١.
۶) سلك الدرر ٢ / ١٩٢ .
٧) سلك الدرر ٢/٣١٠.
٨) سلك الدرر ٣ / ٧ .
٩) سلك الدرر ٣ / ٢١ .

٣٥ و لعل أول ما يلاحظ على هؤلاء المترجمين أنهم دمشقيون، فلعل السمان لم يمكّن إلا من تراجم أبناء بلدته، أو لعل هذا هو القسم الذى سلم من كتابه، و اعتمد عليه المرادى.

و هذا هو ما حدا ببروكلمان إلى تسمية كتاب السمّان «تراجم أعيان دمشق» ، و قد ذكر له مخطوطات فى عدد من المكتبات [١] .

٨

و قد اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب على:

١ -نسخة كتبت بقلم معتاد، تمت كتابتها نهار السبت المبارك، الخامس عشر من ربيع الأول، الذى هو من شهور سنة أربع و ثلاثين و مائة و ألف، كتبها محمد بن محمد ابن محمد الميدانى، و تقع فى ٣٥٠ ورقة، مقاسها ٥ و ٢٥ * ١٥ سم، و مسطرتها ٣٥ سطرا، و على الورقة الأولى منها استكتاب بدمشق، سنة ١١٣٤ ه‍، و تملك فى السنة نفسها، مضروب على اسم صاحبه.

و هى محفوظة بدار الكتب المصرية، برقم ٤٧٧٩ أدب طلعت.

و قد رمزت إليها بالحرف «ا» .

٢ -نسخة أخرى كتبت بقلم معتاد، وقع الفراغ من تحريرها فى شهر صفر الخير، سنة ست و ستين و مائة و ألف، كتبها عبد الحليم بن أسعد المنير، برسم رجل ضرب على اسمه، و تقع فى ٢٦٧ ورقة، مقاسها ٥ و ٢٨ * ٥ و ١٧ سم، و مسطرتها ٣٩ سطرا، و بأولها فهرست بالمترجمين، و عليها تملك بالشراء الشرعى باسم مصطفى العطار، فى أواخر

---

١) تاريخ الأدب العربى، لبروكلمان، ملحق ٤٠٤/٢.

٣٦سنة ١١٩٨ هـ. و الصفحة الأولى منها محلاة باللازورد، و مجدولة بالمداد الذهبى و الأسود، و كذلك باقى صفحاتها مجدولة بالمداد الذهبى و الأسود.

و تشتمل هذه النسخة على ذيل نفحة الريحانة أيضا، و قد كتبت على الصورة التى كتبت عليها النفحة.

و هى محفوظة بدار الكتب المصرية، برقم ٤٨٧١ أدب طلعت.

و قد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف «ب» .

٣ -نسخة ثالثة، كتبت بخط نسخى، تمت كتابتها فى غرة ربيع الثانى، سنة ١١٨٨ هـ، كتبها عمر الحموى ثم الدمشقى، برسم فخر السادة الأشراف، خلاصة آل عبد مناف، السيد أحمد أفندى توفيقى زاده، و تقع فى ٥٨٦ ورقة، مقاسها ٥ و ٢٦ * ٥ و ١٥ سم، و مسطرتها ٢٨ سطرا، و بأولها فهرست للمترجمين، و الصفحة الأولى منها محلاة باللازورد، و مجدولة بالمداد الذهبى و الأسود.

و هى محفوظة بدار الكتب المصرية، برقم ١٢٤ أدب (م) .

و قد رمزت إلى هذه النسخة بالحرف «ج» .

٤ -نسخة رابعة، كتبت بقلم معتاد، فى القرن الثانى عشر، و تقع فى ٥١٠ صفحات، مقاسها ١٦ * ٢٤ سم.

و هى محفوظة بظاهرية دمشق، تاريخ ٦٤-٢٧ و ٢٨.

و منها مصورة (ميكرو فيلم) فى معهد المخطوطات، بجامعة الدول العربية.

و قد عدت إليها فيما انبهم علىّ أمره، فى النسخ الثلاث السابقة، أو نقص فى واحدة منها، حتى يسلم النص من الاضطراب، و يتجنب الخطأ.

***

٣٧ هذه هى النسخ التى اعتمدت عليها فى تحقيق «نفحة الريحانة» ، أما «ذيل النفحة» فسأقوم ببيان النسخ التى أعدها لتحقيقه فى صدر الجزء الخامس، إن شاء اللّه.

***

و لقد نمي إلى علمى أن الأستاذ قاسم محمد الرجب، صاحب مكتبة المثنى، ببغداد، تملّك بالشراء نسخة من القاهرة، و تكرم المرحوم الأستاذ فؤاد سيد [١] ، أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية، بإبلاغ الأستاذ قاسم، إبان زيارته للقاهرة هذا العام، رغبتى فى الاستفادة منها، فلقى ترحيبا طيبا منه، و وعد بالنظر فى هذا الأمر عند عودته إلى بغداد، و لقد أكّدت هذه الرغبة برسالة بعثتها إليه، فإن قدّر اللّه اطلاعى على النسخة، و وجدت فيها نفعا، استفدت منه، إن شاء اللّه تعالى.

كذلك فقد ذكر الأستاذ خير الدين الزركلى، فى مقال قيم له، فى مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، الجزء الثالث، صفحة ٦٣٤ ، من المجلد الثانى و الأربعين، أنه رأى من نفحة الريحانة مخطوطة نفيسة، فى خزانة الشيخ عبد الوهاب الدهلوى، بمكة سنة ١٩٤٦ م، عليها تعليقات، حليت بها عدة صفحات منها، ذيل أكثرها بهذه الجملة «من خط المؤلف سلمه اللّه تعالى» .

و قد أرسلت إليه راجيا أن يرشدنى إلى سبيل الإفادة من هذه النسخة.

و تكرم-حفظه اللّه-فأجابنى على كتابى إليه بقوله: «قد تلمست الوسائل المستطاعة، فلم أر إلا أن يكون ذلك باطلاعكم على النسخة نفسها، فى المكتبة الخاصة

---

١) توفى إلى رحمة اللّه ليلة الأحد، الثانى من رمضان المكرم، سنة ١٣٨٧ ه‍، الموافق الثالث من ديسمبر، سنة ١٩٦٧ .

٣٨ التى ذكرتها، فيما نشرته فى مجلة المجمع، أو فى مكتبة الحرم المكى التى تكون قد آلت إليها، و هذا فى إحدى رحلاتكم، إن شاء اللّه» .

و إلى اللّه أضرع فى أن يمكن لى من الرحلة إلى حرمه الآمن؛ لأؤدى فرضه الذى كتبه على القادرين من عباده، و أتعرف إلى هذه النسخة من الكتاب، فإن تحقق لى هذا قبل الانتهاء من طبعه، أثبت ما تدعو إليه الحاجة فى لحق له، و إن قعدت بى الوسائل، رجوت أن أفعل هذا فى الطبعة الثانية، إن شاء اللّه.

***

و هكذا يجمع كتاب المحبى «نفحة الريحانة» حوله جهود العاملين فى خدمة التراث العربى، و يحظى باهتمامهم.

و من قبل قدم هذا الكتاب مأثرة من مآثر المشتغلين بالثقافة فى أمتنا العربية، فقد أشار الأستاذ حسن كامل الصيرفى، مدير تحرير مجلة الكتاب العربى [١] ، إلى الجهد الذى أبذله فى تحقيق «ريحانة الألبا» للشهاب الخفاجى، و «نفحة الريحانة» للأمين المحبى، و تلقى سيادته بعد هذا رسالة من وزير الثقافة و الإرشاد القومى، بالجمهورية العربية السورية، يسأل عن ما أنجزته فى هذا العمل؛ لأن الوزارة كانت قد اعتزمت نشره، و كلفت من يقوم به، و حين علم السيد الوزير مدى ماقمت به من جهد، و ما بذلته فى تحقيق الكتاب، أمر بإيقاف العمل فيه، و دعا لى بالتوفيق فى تحقيقه و إخراجه.

و لعلى أكون بعملى هذا الذى أقدمه اليوم، قد استجبت للثقة التى أولتنى إياها وزارة الثقافة السورية، حين تركت لى مهمة تحقيق «نفحة الريحانة» و نشرها.

---

١) مجلة الكتاب العربى، العدد ٢٨ ، سبتمبر سنة ١٩٦۶ ، صفحة ٨٨ ، ٨٩ . و انظر مقدمة «ريحانة الألبا» صفحة ٣٥ .

٣٩ و أرانى مدينا بالشكر للأستاذ حسن كامل الصيرفى، لما نشر حول هذا الكتاب، مما كشف عنه، و جلّى مكانته بين جمهرة كبيرة من المثقفين.

كذلك أتوجه بالشكر إلى الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب، فقد كان حريصا على أن أصل «ريحانة الألبا» ب »نفحة الريحانة» ، و بذل-جزاه اللّه خيرا-جهدا مشكور فى سبيل نشره.

***

و على السنن الذى انتهجته فى «ريحانة الألبا» سرت فى هذا الكتاب، راغبا فى الإجادة، مؤملا فى التوفيق، راجيا من اللّه أن يسدد خطاى، و أن يرشدنى إلى أقوم طريق، إنه سميع مجيب.

القاهرة فى ٢٠ من رمضان المكرم سنة ١٣٨٧ هـ

٢١ من ديسمبر سنة ١٩٦٧ م

عبد الفتاح محمد الحلو